تعليمية اللغة العربية و فاعليتها في المناعة الحضارية
– دراسة في تعليمية الضاد بين الانْبِجاس العَالَمِيني الألسني و انفجار العولمة –

د. محمد الأمين خلادي
أستاذ محاضر
جامعة أدرار
07.96.93.57.67
amine_proof@yahoo.fr

الملخص :

تحظى حقول التعليميات في اللغات باهتمام كبير لدى الباحثين و المراكز العلمية و المؤتمرات لما لها من فاعلية في الحفاظ على الهوية الحضارية للفرد و المجتمع ؛ كما أن لها قسطا وافرا في توجيه المعلم و المتعلم وهو يلقن اللغة أو يتلقنها؛ وهذا من أهداف تعليمية اللغة العربية في ساحة البحث العلمي اليوم.

Résumé :

Les Champs didactiques dans les langues jouissent d'une grande préoccupation par les chercheurs et les centres scientifiques et les congres en raison de sa efficacité dans la préservation de l'identité culturelle de l'individu et la société, comme ils ont également la grand part dans la direction de l'enseignant de l'arabe dans l'arène de la recherche scientifique actuellement.

مقدمة :

يبرز مجال اللسانيات محورا أساسا في الدراسات المعاصرة ؛ ذلك لأنه متعلق بالحقائق التالية، حقيقة اللغة المفتاح المعرفي لكل الحقول المعرفية والعلوم والفنون عالميا، ثم إن اللغة والألسنية هي الجسر الموصل لاستيعاب العلوم الإنسانية المعاصرة والقديمة أيضا، ثم حقيقة الترجمة واللغات الأجنبية موازاة مع العربية لأن المقارنة ضرورة علمية منهجية في التعامل مع الآخر.

والدرس الألسني عالق بكل دراسة في العلوم الإنسانية سواء أتعلق الأمر بعلوم العربية أم العلوم النفسية والاجتماعية والتاريخية وغيرها، وقد يكون الأمر أعلق بالدراسة اللغوية أكثر؛ ولغة الضاد آكد بذلك إذ إن العلامة ابن جني تمحص آيات الخصوصية في اللغة العربية فألف خصائصه برهانا علمياً منهجياً على سمات التميّز في لغة الإعجاز، لذلك« إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة

والدقة، والإرهاف والرقة، ما يملك علي جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر...»[1]؛ وهو السحر البياني الذي نبه إليه النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في أكثر من موضع ، ومنه كانت تلك اللغة مختارة اصطفاها الله تعالى لقرآنه لما تميزت به من إعجاز تعجز عنه اللغات الأخرى في الأداء والتوصيل والإقناع.

أما اختياري هذه الدراسة بهذا التوصيف (تعليمية اللغة العربية وفاعليتها في المناعة الحضارية/ دراسة في تعليمية الضاد بين الانبجاس العالميني الألسني و انفجار العولمة)؛ فإنه عنوان مسلول من حقول البحث اللغوي ونقده قديما و حديثا ، إذ التعليميات «Didactique» موصولة بالدرس اللغوي العربي، كما اللسانيات العامة والخاصة، بل حتى على المستوى العالمي في لغات أخراة، والمراد بالتركيز على التعليمية البحث في فاعليتها، وهل ثمة بلوغ حقيقي لفعل التعليمية في الحصانة الحضارية، بمعنى ما مدى حفاظ التعليميات على سلامة اللغة العربية في اختصاص العربية نفسها والعلوم الإنسانية، وهل تتناغم وأصول الأمة العربية والإسلامية؟

ويبدو العنوان في سمة تاريخية، من المبتدأ الفطري للغة العربية إلى ما هي عليه العربية اليوم في ظل العولمة، والحقيقة أن بعضا من الدراسة في العرض يبسط هذا التدرج التاريخي بشواهد نصية تبيانا لفعل التاريخ والتعامل الحضاري العربي الإسلامي مع غيره.

وإني لا أريد أن أؤكد الفجوة الفجة الكائنة بين الفهم الخاطئ والفهم الثابت الصحيح لمعنى التحاور الحضاري والمسالمة الثقافية بين الشعوب والأجناس والألسن والحضارات، فأصول حضارتنا ونصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة و تصانيف العلماء قاطعة الشك باليقين في أن خصائصنا الحضارية لا تلغي الآخر مهما كان، لكنها في الوقت نفسه لا تتسربل بسرباله كاملا، والشواهد التاريخية في صدر الإسلام وعصر بني أمية وبني العباس لدليل حقيقي على هذا الأمر، ويكفينا التمثيل بغيض من فيض كدار الترجمة التي أثلها المسلمون الأوائل وقد تفاعلوا مع اليونان والهند والفرس والروم والسند والأحباش، و الرومان و اللاتين ... وكانوا أساتذة فحولا للأوربيين في عصر الظلمات.

العرض:

1- عَالَمِينية الدرس اللغوي الإعجازي:

مما تعرف به اللغة العربية أنها من أشهر اللغات العالمية، كما أنها كرمت بخدمة كتاب الله ونشر الدعوة المحمدية، وإنها لغة التآليف الفخمة في علوم العربية والأصول والتفسير والفقه والنقد والقراءات وهلم

[1]- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1372هـ- 1952م، ج1، ص47.

جرا...،[1] وهي لغة موسومة بخصائص أعظم ما يكون ألا إنه كتاب الله تعالى المعجز؛ ومما يستشهد به من تآليف في الضاد شروح المعلقات كشرح الزوزني وتفاسير القرآن العظيم كتفسير الإمام الطبري وكتب اللغة بتفاريعها كالكتاب للعلامة سيبويه والخصائص لعالم الأصوات ابن جني والبيان والتبيين للإمام الجاحظ...

إن لغة القرآن الكريم "عالمينية"؛ أي تعم العالمين جميعاً وعنهم تتحدث، فهي بشمول الخطاب القرآني تقصد كل المخلوقات، بما فيها البشرية على أساس أن القرآن العظيم يخاطب كل البشر، بل وزيادة فهو خطاب تجاوز عالم الإنسان إلى عوالم أخرى كالجن و الحيوان و الجماد ...، إذ لم يفرط في أي شيء... قال الله تبارك وتعالى ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[2].

فاللغة القرآنية معجزة جامعة مانعة ماسحة لكل الكونيات مادة وروحا دنيا وأخرى إنسا وجنا وملاكا وحيوانا ونباتا وجمادا، أزلا وأبدا وسرمدا، ذكرا وأنثى، كبيرا وصغيرا...؛ لذلك فالقرآن العظيم تحدث عن كل الكونيات وسائر المخلوقات ما علم منها ابن آدم وما لم يعلم، وهي من بدْع الخالق البارئ عز وعلا «...العالم لا مفرد له كالأنام، واشتقاقه من العلم أو العلامة ومدلوله كل ذي روح، قاله ابن عباس، أوالناس قاله البجلي، أو الإنس والجن والملائكة، قاله أيضا ابن عباس، أو الإنس والجن والملائكة والشياطين قاله أبو عبيدة والفراء، أو الثقلان قاله ابن عطية، أو بنو آدم قاله أبو معاذ أو أهل الجنة والنار قاله الصادق... أو كل مصنوع قاله الحسن وقتادة...»[3]، ويقول معجمي في كتابه«...والعالم الخلق كله، وقيل كل ما حواه الكون والجمع عوالم وعالمون...»[4]، ويقول آخر «...العالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله عز وجل، وهو جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات في السماوات وفي البر والبحر...»[5]؛ ومنه فلفظ "عالمينية" مصدر صناعي من لفظ العالمين، علامة على أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم فاتصفت بما اتصف به من خصيصات معنوية ولفظية...، والدرس اللغوي العربي إعجازي بأصالته وتكوينه وانبثاقه؛ فلولا المعجزة القرآنية ما ضبط اللسان وما عرفت أحكام وما أسست علوم لغوية وتفاسير وتأويلات.

ومن الثابت أن اللغة العربية استوعبت فروعا علمية إسلامية كثيرة، وقد توّجها الله تعالى بأن تكون لغة القرآن العظيم والحديث الشريف، مما حدا بالعلماء الأصلاء أن تخِذوها لغة تفاسيرهم وتصانيفهم في الفقه وأصوله وعلوم الحديث وعلم الكلام وعلوم العربية وفقهها والعلوم التقنية كالكيمياء والطب والهندسة والفلك وعلم

---

[1] - ينظر: أبو بشر عمرو بن قنبر، سيبويه، الكتاب، تحقيق د.عبد السلام محمد هارون، ط3: 1403هـ- 1983م، ج1، ص13 (باب مجاري أواخر الكلم من العربية).

[2] – سورة الفاتحة، الآية 1.

[3]– محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد، الشيخ علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1426هـ – 2001 م، مج 1، ص 130.

[4]– محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1388هـ –1968م، ص 352.

[5]– محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، شركة الشهاب، الجزائر، وقصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1410هـ – 1990م، ج1، ص 21، وينظر: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج1، ص 16 ، وغير هذا.

الأحياء والحيل والضوء والحساب والهيئة ... ووظفوها في أحسن صورة وأبهاها لأنها لغة وظيفية وعملية، تصويرية اشتقاقية بينة، كما أنها ترسخ علاقتهم بالعطاء الحضاري المجيد الموصول بالفكر العربي الإسلامي آنذاك، وفي ضوء هذا فإن اللغة العربية في عصرنا أحوج إلى تفعيلها تربويا كما ينبغي التفعيل؛ ذلك لأنها بهذه الحال الفاترة تعطل الفهوم الصحيحة لكل العلوم وبخاصة العلوم الإنسانية، وفقه اللغة العربية وعلومها مشروطة بإتقان الدرس اللساني وفروعه، فجدير بالبحوث أن تلتفت إلى هذا المقصد مع صيرورة الإنجازات العلمية العالمية في عهد لا يؤمن إلا بالتحدي والاستباق. وقد خص البحاثة دي سوسور علاقة اللسانيات بالعلوم الشتى بحديث دقيق مركز يظهر فيه التلاقح المعرفي بين علم اللغة واللسان وعلوم إنسانية كعلم النفس الاجتماعي، فقال « إن مهمة الألسنية إذن هي:

أ/ تقديم الوصف والتأريخ لمجموع اللغات...

ب/ البحث عن القوى الموجودة في اللغات كافة ...

ج/ تحديد نفسها والاعتراف بنفسها.

وفوق هذا إن للسانيات روابط قوية جداً مع علوم أخرى تستمد منها معطيات طوراً، وطوراً ترفُدُها بمعطيات جديدة والحدود التي تفصلها عن هذه العلوم ليست واضحة دائماً. فعلينا –مثلا– أن نميز بدقة بين اللسانيات والعراقة وما قبل التاريخ حيث لا تتدخل اللغة إلا كوثيقة، كما لابد من التمييز بينها وبين الأنثروبولوجيا (علم الأقوام) التي لا تدرس الإنسان إلا من وجهة نظر الجنس، على حين إن اللغة هي واقع اجتماعي، فهل ينبغي إذن أن نُدخلها في علم الاجتماع ؟ وما العلائق الموجودة بين اللسانيات وعلم النفس الاجتماعي؟...»[1].

وقريب من هذا ما ساقه الدكتور مازن الوعر في فصل من كتابه سماه اللسانيات والعلوم الإنسانية من خلال نقله حواراً كاملاً تم بين اللسانية " ميتسو" رونا والعالم نوم " تشو مسكي " في موضوع كبير الأهمية هو علاقة اللسانيات بعلم النفس وعلوم دقيقة إنسانية وتطبيقية أخرى؛ فالجهود العلمية واضحة الحركة بين علماء اللغة واللسانية عالميا[2]، كما ذهب إلى ذلك الدكتور منذر بقوله «ولقد أدى تطور البحث اللساني إلى تطور جملة من العلوم، لها صلة بالظاهرة اللغوية ... وإذا كانت اللسانيات قد تبوأت هذه المكانة، فلأننا باللغة ندرس العلوم، وباللغة أيضا ندرس اللغة»[3].

وتعليميات اللغة العربية أساس من أسس التوصيل الناجح لمحتويات العلوم الإنسانية بدءا من المفاتيح كالمعجمية وعلم الأصوات والقراءات وفقه اللغة والنحو والصرف... ثم التاريخ وعلوم الاجتماع

---

[1]– فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي– مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر 1986، ص17.

[2] – ينظر: د. مازن الوعر، دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1: 2001، ص 181– 203.

[3] – منذر عياشي، اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1: 1996م، ص6.

والنفس...، فالتكامل المعرفي والتلاقح العلمي بين فروع العلوم الإنسانية أصيل وصحيح، فما على البحثة إلا السير على ما أنجز وقراءته قراءة علمية دقيقة مصحوبة بالمنطق وعلوم الآلة والحاسوب والترجمة وسائر آليات التقانة المعاصرة؛ شريطة التوفيق بين حرمة الأُثُول العربية وأصالة إسلاميتها وخصوصيتها وبين تطور العلوم التقنية المعاصرة تفتحا متزنا متوازنا مسالما مع الآخر.

2- "تعليمية التعليل الإعرابي" وفاعليتها في لسانيات الخطاب انسجاماً ونظْما: قمين بنا أن نلبي نداء الضاد في ميدان البحث العلمي... ، فأعظم به من تناد ، ونعما هو خير ناد، يغرف منه الصادي، ويجدد به لسانه كل ذي بصيرة من العباد، إذ لا مشاحة في أن بياننا العربي أقوم قيلا وآكد إفصاحا وأبلغ توصالا، وأحرى بإجراء سَنِنه على اللسن بكرة وأصيلا ؛ ولما كان الأمر كذلك، فإن أمتنا العربية باتت رهينة الرجوع إلى منارة عربيتها، فنصرتها مشروطة بنصرة مقومات هويتها، وسيادتها علقة بتفعيل اللغة العربية . اللغة الأصالية ثم الوطنية والقومية ثم الرسمية (اللغة الأم) . في خطابها وتعليمها وتعاملها، إن على المستوى الوطني والقومي أو غيره.

ولا جرم أن فاعلية اللغة العربية وآدابها لن يستقيم عودها إلا بمُفاعلة آليات المعلومة اللغوية والأدوات التي من شأوها أن تربأ بهذه اللغة الحصيفة عن كل دنية و هي التي ظلت كالمهجورة بين أهلها وبنيها، ولعل من أدخل المُفاعلات و" الميكانيزمات" تَفْعَالا واقعيا و بيداغوجيا التعليمية (Didactique).

و مما يجب الإلحاح عليه أن تعليمية اللغة العربية تعليمية مفتوحة على كل المعارف؛ فهي أداة لمختلف العلوم الإنسانية و التجريبية، إنها تعليميةٌ أصلٌ لا مناص لأي تعليمية أخرى إلا بها؛ ذلك لأن البناء اللغوي إطار تقوم به المادة العلمية مهما كانت، و إذا لم يُحكم صنعُ التعليمية اللغوية فسيؤثر لا محالة في إفشال التعليميات الأُخر، و منه فنحن «في مسيس الحاجة إلى نظرة أشمل إلى اللغة العربية، و علاقتها بفروع المعرفة المختلفة،... و يتطلب توثيق علاقة اللغة العربية بفروع المعرفة المختلفة، إعداد فريق من الباحثين من ذوي القدرة على عبور حواجز التخصصات النوعية وتعددها. و حتى نضمن فاعلية الجدل العلمي بين هؤلاء الباحثين، ذوي التخصصات المختلفة، يجب إعطاؤهم خلفية عامة مشتركة تقترح بشأنها الموضوعات الرئيسية التالية: التوجهات العامة للسانيات الحديثة، فقه اللغة العربية و خصائصها، تراثنا اللغوي من منظور علم اللغة الحديث، فلسفة اللغة، هندسة النظم، تكنولوجيا المعلومات من منظور لغوي»[1]، وهذا حتى يُعلم أن اللغة العربية ذات مقدرة على خوض التحديات العلمية المعاصرة، و هي لغة راسخة القدم في تجلية العلوم والمعارف منذ قرون غابرة؛ حيث كانت لسان الجاحظ و ابن الهيثم و لغة الزمخشري و ابن سينا...وغيرهم ، كل في حقله المعرفي.

ومنه فليس من بأس أن نُباحث موقعنا من تفعيل عربيتنا في دروسنا ومحاضراتنا وخُطُبِنا الشتى وتولية ناشئتنا شطر السبيل المثلى والصراط اللغوي المستقيم في مدارسة اللغة من جهة الخشية والمحبة، ومن

[1]- د. نبيل علي، الثقافة العربية و عصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط:2001، ص:241.

جهة الهوية واستبحاث موقعنا في العالمين من حولنا، فيسلمنا ذاك إلى حفظ ماء شخصيتنا العربية الإسلامية، بحفظ هذه اللغة فعلا.

ولا ضير في ذلك وقد وهبها الله تعالى أن تتوّج بالمعجزة الفرقانية وفصل الخطاب، حتى انمازت عن غيرها من اللغات تبيانا و فذاذة، ولا يغرنك أيها اللبيب تقلب الذين صدوا عن لغتهم العربية أو حاولوا . عبثا . نطاح طودها الذاهب شموخه في سماء الأثالة اللغوية السامية مذ مئات القرون، شرط أن تستنير بهدى لغتك ملتزما بإخلاص روحي وكفاءة فعالة وأنت صدوق في اقتراح النموذج الذي لا يُحْوجك إلى التيه، وإنما يأخذ بيدك إلى بر الأمان سواء أكنت متعلما أم معلما.

و ليعلم أني حاولت مذ عام 1991 م حمل تلاميذي وغيرهم على تمثل مسار لغوي وظيفي آتى أكله . والله يشهد وله الحمد وحده . بصور ملحوظة، وكان ذلك بعد توجيه هؤلاء التلامذة دربة ومراقبة وتحفيزا إلى التعليل الإعرابي ساعة الدرس والتمرين أواستحداث القاعدة المستخلصة أو التأويل محلا ولفظا أو ساعة الاختبار والامتحان؛ إذ اقترحت علمية التعليم الإعرابي وتعليميته في الاختبارات والامتحانات وامتحان البكالوريا، لكني لم أفاجأ لما ألفيت نفورا عند بعض المعلمين والمتعلمين، وسرت بخطاي تلك مقتنعا مثْرِيَها وإليها داعيا دونما إحباط أو كلل ... !

وإنني حاولت جاهدا أن أتجاسر على كثير من الأنماط التدريبية في الدرس اللغوي، وأربطها دوما باستفهامة تمتُّ للإعراب التعليلي بكامل الصلة؛ كأن أطرح السؤال التالي :

المطلوب : اقرأ الجملة التالية، ثم أُشكلها ، معللا الحركة الإعرابية فيما بين القوسين :

ركز الطالب في (الدرس) (المقدم).

فبعد التشكيل والضبط ضمن جدول علمي، يعلل فيه المجيب بقوله مثلا:

ضبط الكلمة بالشكل	تعليل الحركة الإعرابية
(الدرسِ)	اسم مجرور لأنه سبق بحرف الجر ...
(المقدَّمِ)	اسم مجرور لأنه صفة للفظ الدرس

وقس على ذلك، فقد يطلب تعليل إعراب النص كاملا، أو بعضه، بل إن هنالك تقليبات متعددات للسؤال، ومدار الأمر كله توجيه المسؤول توجيها علميا تربويا يجنبه مجازفة الإجابة الفاشلة الزائغة عن الهدف كأن يجيب باعتباط أو كما اتفق أو عن طريق (عملية غشية)، فتعليمية الهدف تسوقنا إلى الإظفار بالإجابة السليمة، إذا فعّلنا هذه الطريقة، فإنها تؤدي بالمتعلم إلى أثر محمود... ، وهذا مقام لا سانحة فيه إلى البسط كمقام عرض الطريقة . ملحقا . في تفصيل البحث.

ولا مرية أنني تبينت الكثير من الفاعلية المحققة المستثمرة البارزة نتائجها المستحسنة تقدمها، والجيدة تقويما ومتابعة في ظل سيرورة مؤثلة تربويا وترغيبا ، حتى إني اقترحتها في مواقع عدة، كمشاركتي في كتابة كتيب الأعمال التطبيقية الميسور للمستوى النهائي، واصطناع أعمال طلابية في شاكلة منجزات لغوية، وكذا الأمر سائر إلى يوم الناس هذا، فأدرجها في بعض الأسئلة المخصوصة ضمن امتحانات المستوى الجامعي وفي العديد من المقاييس، كيف لا والحال هاته من التهاوي الممقوت الذي يؤول بطلبتنا إلى منتهى غير مرغوب فيه ؟ !

وثمة سر مكشوف وشر موقوف وخير معروف؛ سر الدواء اللغوي في قرآننا وخطاب نبينا وتراثنا، وشر اللامبالاة والكيد المدسوس والضياع، وخير التعليمية الناجعة في الدرس اللغوي والأدبي !.

في المبتدإ كان الخطاب المعجز قوله تعالى:﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . ﴾ سورة العلق ، 1...5. ، وهو الخطاب الفصل في حسم الرسالة الآدمية بصبغة الخلافة التي خولت لابن آدم عساه يفلح دنيا وأخرى.

من أجل ذلك طفق البشر يعملون فرادى وثنى وزمرا بغية الوصول إلى غاياتهم المنشودة كغاية العلم والتعلم والتعليم... التي بها عرف هذا المخلوق الناطق العاقل المؤول ، وهي غاية تفصل الخطاب في مدى وظيفية النطق واللغة « والوظيفية : FONCTIONNALISME ... إحدى نظريات علم الجمال وهي القول إن جمال الأثر الفني يرجع إلى منفعته... / والوظيفة في اللغة ما يقدر من عمل ... وتطلق الوظيفة في علم الحياة على مجموع الخواص الضرورية لبقاء الكائن الحي... / والوظيفي هو المنسوب إلى الوظيفة.../ والتربية الوظيفية هي التي تجعل ممارسة الوظيفة ضرورية لتنميتها» [1]؛ هي التربية اللغوية الوظيفية التي أحاول استبحاثها في هذا الطرح الذي إخاله من اليقين بأسمى مكان ، ذلكم وقع لغتنا العربية في واقع تدريسها وسط مدارسنا العربية في شتى صورها المتناوعات ، إذ نريدها لغة ذات فاعلية (Activité) تؤتي أكلها كل حين بإذن مجريها ومستعملها والناطق بها ؛ لأن الفاعلية – ههنا – هي «النشاط ، أو الممارسة ، أو استخدام الطاقة ، تقول : فاعلية الفكر ، أي نشاطه »[2] ، كقولنا فاعلية اللغة العربية وهي تساق إلى التلميذ والطالب والمريد في صورة مقبولة تحمله على تمثلها فتغري به إغراء يفي بالأثر الحميد ، ولم لا ؟

مما لا مراء فيه أننا بالغون ذاك المنتهى إن أحسنا الوسيلة بالكفاءة، والمنهج بالإخلاص، والنية بالعزمة الفاعلة العنيدة « باختصار علينا أن نترجم الحب إلى وعي، والوعي إلى ممارسة ، وذلك بالتعميم والاستعمال اليومي على أوسع نطاق ... لابد من تدعيم الوعي العام وتعميقه بوعي لغوي وعقيدي ، قوامه المعرفة العميقة والالتزام العملي ،لا مجرد العاطفة المشبوبة ، والحماس الظرفي »[3]، كيف لا وهي لغة مشرفة

[1] د . جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ،ط/ 1979 ،ج 2 ، ص136.

[2] المرجع نفسه ، ص 581 .

[3] عاطف محمد يونس ، العربية أرقى اللغات الحية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 1/ 1998 ، ص 8 .

محفوظة إعجازية ، هيأت للناطق بها أسباب الإظفار بالإبلاغية ،حيث قال تعالى : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ . سورة النحل من الآية103.

وذاك الذي سنحاوله كطريقة في استيعاب الإعراب العربي، ومقاربة السبيل المثلى في استيضاح ضادنا وتيسيرها على ألسن الناشئة زمن طِلابِها، وقد اجتهدنا قدر ممكننا في التيسير شرط صون ماء العربية ونحن الجزائريين الذين ننتسب إلى وطن أنجب علما كالطود الشامخ، ألا إنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي وسم جزائره بوسام العربية الأكبر، وهو يذود عن هوية أهله وأرضه، وينور مستعملي هذه اللغة في مآربهم وأدبهم قائلا: «... والأديب أيها السادة هو الوشيجة القوية الباقية التي لم تنقطع طوال القرون عبر الأزمان فهذه هي الأيام تطوي الدول وتقرب البعيد أو تبعد القريب، وتقطع هذا السبب أو ذاك من علاقات الأفراد أو روابط الجماعات ويبقى اللسان العربي والبيان العربي والشعر العربي رسلا صادقين، وروابط قوية بين أبناء العروبة كلهم...»[1].

و لعل مما يثير الحسرة و يفوت الفرص على تلامذتنا و طلابنا أن هناك عيوبا كثيرة في العملية التربوية/التعليمية القائمة؛ أخطرها الزخم الفائض و الكثافة الهائلة التي يُشحن بها المبتدئ في الطور الأول و الثاني من التعليم لعدم مراعاة التدرج و السن و الحجم الساعي، في حين نرى دروسا عديدة تُكرَّرُ تكرارا معيبا في المراحل اللاحقة كالتعليم الثانوي، و هذا بسبب استحواذ النظرة التجزيئية المخلة بالصورة الكلية المتكاملة المنتظمة وغياب الإتقان والانسجام في التنسيق بين الدروس اللغوية في جميع المستويات و الشعب و المراحل، و انعدام التكافؤ بين المعطيات التربوية و وسائلها و أهدافها...، وقس على ذلك من مواقع الخلل و الضعف التي تحدث في ثنايا الدرس اللغوي وانفصام الكتاب عن المنهاج وغياب الطرح الموحد بين المدرسين في طرائقهم و المبرمجين في مناهجهم، فهي شذر مذر.

لا جرم أن الدرس اللغوي بات رهين السؤال المدهش والحيرة الباهتة في مدارسنا الساعة، حيث إن الضاد تربأ بعبقريتها عن كل ما يزري بها، أو يقذف بها في غيابات الحطيطة، ومنه فإن معلم العربية لا يستمرئ حالها وهي تركن إلى البؤس والضحالة وهي في أرض تنعت بعروبة اللسان وعربيته؛ فالتعليمية اليوم توسم بأنها إحدى الصروح العلمية التي تؤسس ناظِمة تربوية تُحيي اللغة ومنه التعليمية اللغوية «إنها علم قائم بذاته له مرجعيته المعرفية ومفاهيمه واصطلاحاته وإجراءاته التطبيقية، فالتعليمية من ههنا يمكن لها أن تحتل مكانها بجدارة بين العلوم الإنسانية...»[2] و هي بذلك تعقب المعلومة فتقومها و تبحث عن آلات إبلاغها بصورة ناجحة تؤثر في المتلقي، بإحداث قابلية التلقي ثم الاستجابة المستوعبة و عنوانها كفاءة هادفة، كما « استخدم هذا المصطلح لأول مرة سنة 1961 للدلالة على الدراسة العلمية لتعليم اللغات، وذلك قصد تطوير المحتويات والطرق والوسائل وأساليب التقويم للوصول بالمتعلم إلى التحكم في اللغة كتابة وشفاهة ... وتنوعت

[1] الشيخ الإبراهيمي، في مؤتمر أدباء العرب، الدورة الثالثة، القاهرة 1958، عن مقال الشيخ الإبراهيمي وأصالة الأديب الحر للدكتور عبد العزيز شرف، مجلة البحوث، معهد اللغة العربية، جامعة وهران، ع 4/ 1987، ص 15 .

[2] د. أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، د. م.ج. الجزائر، ط /2000 ، ص 130.

فروعها فهي لا تبتعد عن كونها تهتم بالمواد الدراسية وبالبحث عن أنجع الأساليب في تخطيط محتواها وتنظيمه وتعديله»[1].

أ- **أسباب التجربة:** يقول العلامة ابن خلدون «اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فيكون حالا، ومعنى الحال إنه صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فيكون ملكة أي صفة راسخة »[2]. وحقا فبالرغم من طابع الموسوعية الذي وُسم به عصر العلامة ، إلا أنه منظر تربوي عظيم أقر أن التأليف والتركيب اللغويين إحداثيتان أساسان في الصناعة التعبيرية، وهما أدخل في المراد وآكد، فاللغة الحق هي اللغة المقصدية التي تصون سلامة الوَصَالة بين الخَاطِب والخِطاب والمخْطوب ، مع القصدية أيضا ، كما يربط المنظر الإحداثيتين كشرط بصميم التعليم المتجلي في التَّرْداد وأسلوب التكرار الذي يسلم إلى الإفهام ، في حين إنه منظر مايَزَ بين الحال والتكرار، فالأولى سمة عابرة مائِرة، أما الثانية فقارة تثبيثية .

وإني لأستل هندسة الاستخبارة* في التعليل الإعرابي من أبجديات النظرية الخلدونية؛ فأختط تركيب السؤال في ضوء الأهداف المُؤَجْرأة المُفعّلة، ذلك لأني أوجه المسؤول وجهة أرجوها صائبة لما أحمله على بعض الشاكلات الإعرابية مثل:

المطلوب : اقرأ البيت التالي، ثم أُشكله ثم علل الحركة الإعرابية الواقعة بين القوسين:

ومن تكن (العلياء) (همة) (نفسه) فكل الذي يلقاه فيها محبب

الإجابة :

الكلمة	تعليل الحركة الإعرابية
العلياءُ	اسم مرفوع لأنه اسم " تكن "
همــةَ	اسم منصوب لأنه خبر " تكن"
نفسِــهِ	اسم مجرور لأنه وقع مضافا إلى " همة "

[1] تأليف مشترك، مادة التعليمية العامة، وحدة اللغة العربية، الإرسال 1، المركز الوطني لتعميم التعليم، الجزائر، 1999، ص 12 .

[2] العلامة عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط 1991، ج 2، ص 632 .

* من فعل استخبر يستخبر أي طلب الخبر كطلبه المعلومة ، و قريب منه لفظ الاستمارة

ب- تمظهراتها و صورها و طرائقها: إنني أستهدف بتعليمية هذه المَنْظَمَة بين المطلوب والإجابة، حقيقة مركوزة أتغيّاها في ظل الإعراب وفاعليته الوظيفية التي تمنح المتلقي ملكة اللغة وحذق العبارة وإلاَقة الكتابة، وقد راعى المقام وحيثياته جميعا:

ب-1 - في التأثيل :

* انتقاء المادة اللغوية (إجادة الاختيار فيما يتعلق بالشاهد أو النص الإعرابي مضمونا وصوتا ومعجما وتركيبا وأسلوبا ونظما ودلالة وإفادة فكرية وسلوكية...).

** المادة اللغوية و صنع الترتيب المتقن ضمن منظومة تبلغ الهدف تقديما وتأخيرا.

*** إحالة المادة اللغوية وقذفها إلى المتلقي في عارضة خطابية درست دراسة هدفية؛ أي العناية الكبرى بالمعنى وانسجام البيان/ النص، الخطاب، فلا خير في مبنى يُهمل الدلالة، ذلك أنهما يؤثران في المتلقي فكراً وروحاً ووجداناً وتربية جمالية بيانية.

ب-2 . في التمثيل :

* ترسيخ المادة اللغوية نفسها بمحك الدربة والتمرين التطبيقي مع التجديد، وهو ترسيخ ينقش الغاية المبتغاة في الشكل والصميم؛ فيُعاود المتعلم استلهام القاعدة الإعرابية بتفعيل ذاكرته وإدارة مِصْوارِه قياسا بالمراحل السابقة، وإلى تلك الغاية يستقرب وقد تواترت الفعلة كرة بعد كرة.

** كما أنه يوظف القاعدة بإيقاع الانسجام بين الحصيلة الإعرابية المحفورة في الذهن من قبل وبين طروء الجديد في الحالات المطروحة اِستسْآلا مجددا في صور متناوعات[1].

ج- تقويمات و حصائل: من المعالم التربوية و التقويمات المستخلصة و الحصائل المتوخاة كأثر، هي:

01 / التحول من فقه التقنية إلى تَوْظافِها، بعد أن حبّبنا مقدرة المتعلم على محاولة التعليل الإعرابي، ولا أقول محاولة الإعراب، وقد غدت هذه المحاولة عقيمة معطلة، بفعل عوامل عدة، أخطرها وأشهرها الإعراب الاجتزائي الذي أحال جمال الإعراب العربي إلى عِضِين مفككة موضعيا... وغير هاتيك كثير.

02/ ازديان العملية الإعرابية بفقه اللغة العربية والتفرس في لطائفها وخصائصها، كالذي نلمحه آن ربط الشاهد اللغوي / أو المادة اللغوية بجوهرها الذي تشي به، فتسكب اللغة العربية أثرها في المتكلم المتذوق المنشئ، وعندها فقط تبلغ تعليمية الإعراب التعليلي بناءها لشخصية المتعلم فكرا ولسانا وسلوكا ونظما معرفيا ونفسيا و عقائديا وروحيا واجتماعيا وحضاريا...

[1] ينظر كتاب : مبادئ التعليمية التحليلية / الباحث الإنجليزي :ماكي / MACKEY . W . F.

03/ استحداث نشاط التطبيقات اللغوية بواسطة النصوص نشاط لغوي تربوي تعلمي وتعليمي قد يحقق اكتساب مهارات كثيرة كالقراءة الصامتة والفهم والتعبير الكتابي وإثراء القاموس والكتابة الصحيحة...[1]، وهو منظور من شأنه أن تستوي به الذائقة الإعرابية لدى المتعلم، خاصة لو تصطحب بمعيته طريقة التعليل الإعرابي التي توازي حل التطبيق اللغوي وسؤاله بالشفاهة ثم الكتابة، وهو تعليل يصل بين كل بنيات النص، فتصطنع هذه الطريقة نظام الاكتساب المهاري للإعراب، فلا ينزلق مُريد الإعراب إلى الاعتباطية أو الغش أو المحاولة كما اتفق... وإنما يأوي إلى ركن شديد من العلمية.

04/ تدريبات على التربية اللغوية ولو شفاهة في خلال الدرس، بطلب الإعراب وتعليل الحركة غير منعزلة عن السياق والمعنى؛ وهذا تحسيس تربوي مسؤول عن جسامة العناية بالنطق الصحيح والكتابة السليمة.

05/ وأكثر من ذاك حملُ المتعلم على تَذْواق لغته توظيفاً وشعوراً خالصا وتصديقاً عمليا، وذلك في وظائف سابقة على الامتحان، حتى إذا جاء الامتحان يُولِجُ المدرّس علامات خاصة بتقويم اللغة والأسلوب والإعراب والتركيب... وهذا في عموم الامتحانات والبحوث والإلقاءات... إن أُريد محاربة الجرثومة (الفيروس) قبل تفحّلها أكثر مما هي عليه في كل مستوياتنا...! ألم يأن للذين يشرفون على العربية و يدرسونها تفعيل هكذا مقترح وبديل ونصيحة ومنهج ؟!

06/ تخصيص أيام تكوينية مركّزة تُحسس مدرسي العربيةِ في كل المراحل، بل وغير أولئك من المدرسين، بالتركيز على المنهجية الصحيحة الواضحة والمتزنة السريعة في توصيل المعلومة أياً كانت علما بقناعة فحواها أنه لا تنجح المعلومة إن أسيء إلى مفتاحها اللغوي.

07/ محاولة تعميم الاستعمال اللغوي الصحيح ضمن آليات كثيرة متنوعة كالمطويات الدقيقة المختزلة، التي تغري المتكلم بأساليب عربية ميسورة هادفة في الاختصاصات كلها، إشعارا بدرجة العربية كما أي لغة في الإفهام والتفاهم علميا ونفسيا واجتماعيا وتلقيا وجماليا.

مقاربة مركوزة في النتائج و الاقتراحات:

1- لا أزعم أن في هذا التصور مجانبة الزلل والنقص، كما أني في مسيس الحاجة إلى الرؤى الهادية إياي إن ضللت الطريق، ولكنني أملك قناعة طمأنتني بجدوى هذه الطريقة خلال تجربتي التعليمية والتربوية المتواضعة، وإن ثمة نفعا متجليا آنسه معظمُ من أرشدتُه إلى هذه الطريقة، وبالأخص لما أفردتها بأساليب متميزة عنوانها التحسيس بوزن اللغة العربية وعلاقتها بالمعارف ، فلا فعل ولا نجاح ولا نضارة لتلك المعارف من غير اللسان القويم، وهذا كله قد عاينته في توقيعات من مبتدإ محاولتي هذه في حين أترجى رسم الأفق نحو المنتهى كقراءة تقويمية للمحاولة.

ولنتأمل قول الحكيم:

---

[1] ينظر ، التيجيني محمد بن صالح ، تعليمية التطبيقات اللغوية بواسطة النصوص ، السنة السادسة أساسي ، المركز الوطني للوثائق التربوية ، الجزائر ، مارس 1999، ص 4 , 5 .

لغة إذا وقعت على أسماعنا كانت لنا برداً على الأكباد

ستظل رابطة تؤلف بيننا فهي الرجاء لناطق بالضاد

2- يجب إعادة النظر في طريقة تكوين المعلمين و الأساتذة، إذ يجب أن تكون وظيفية في شكل أعمال مفردة قبل الجماعية، يقومها مختصون من المفتشين و المتفقدين و المعلمين و الأساتذة الخبراء، دعما لجهودهم، وبخاصة اللغة العربية مفتاح كل الأنشطة و المعارف.

3- مراعاة اللغة العربية في كل الاختصاصات، لاسيما مراحل ما قبل الجامعة.

4- التفكير بجد في تقويم السلامة اللغوية ضمن الامتحانات و البحوث و إشعار التلاميذ و الطلبة بذلك في كل التخصصات، و ذلك بمنح علامة تخص هذا الشأن، مع التحفيز و التشجيع...

وقديما قيل "الإعراب وليد المعنى"؛ فالمعنى هو روح البيان وسلامته سلامة الإعراب، « فالإعراب ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لصحة النطق، فإن لم يصحح نطقا لم تكن إليه حاجة».[1]

كما أن إيضاح علة المعنى ودلالة ونجاح تداوله برهان على إيضاح علة الإعراب؛ فالعامل في الدرس النحوي قائم على تبيان أثر المعنى في الإفهام ببينة من صحة الإعراب في المبنى والسياق ونسق العبارة، بل بنية الخطاب كله،.« تتعالق الوحدات المبنية لتشكل نصا. كل الوحدات النحوية: الجمل والأقوال، والمركبات، والكلمات متسقة داخليا، لأنها ببساطة، مبنية إلا أن الاتساق يتوقف داخل نص ما، على شيء آخر غير البنية، بمعنى أن هناك علاقات معينة، إذا توافرت في نص ما، تجعل أجزاءه متآخذة مشكلة بذلك كلاً موحداً. تعد طبيعة هذه العلاقات دلالية وهي خصائص تميز النص باعتباره كذلك، مما يجعله وحدة دلالية»[2].

لذلك رسخ علماء اللغة العربية نظرية النظم وبحث الربط و التعالق في أجزاء الكل من النص والخطاب وغيرهما...، وخصص الدكتور تمام حسان فصلا خامساً للنظام النحوي وأفرد لقرائن التعليق بحثاً مبسوطاً؛ كقرائن المعنى مثل العلاقات السياقة ثم قرائن المبنى كالعلامة الإعرابية والرتبة والصيغة والمطابقة والربط وغيرها...[3]

ويجعل الباحث ميشال آدم من التكرار بأنواعه أداة بيانية في بناء الخطاب إذ يقول: «هذه التكرارات من طبائع مختلفة لها أيضا آثار خطابية (أي في الخطاب) مختلفة، يمكن أن نميز بيسر التكرار الذي يعمل

---

[1]- د. شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، مصر 1986، ص26.

[2]- د.محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1: 1991م، ص16، نقلا عن: م.أ.ي هاليداي و رقية حسن، الاتساق في اللغة الانجليزية، لونجمان، لندن، 1976، ص7، (ويؤكد محمد خطابي على أدوات الاتساق من خلال كتاب هاليداي ورقية بأنها الإحالة والحذف والوصل والاتساق المعجمي، ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص16- 25).

[3]- ينظر: د.تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2:1979، ص 191- 240.

على المستوى البنائي الظاهر، وآخر يعمل على المستوى البنائي الدقيق؛ بتعبير آخر فإن التكرار يساعد في بناء الخطاب»[1]؛ بل ويساعد في تحليله أيضا.[2]

وكتاب ميشال آدم الناقد الألسني الكبير كتاب ذو قيمة نقدية في الدرس الألسني المفتوح على قراءة الخطاب والنص في حدودهما وماهيتهما وتشكلهما والعلاقة بينهما وفِراق ما بينهما، ثم بحث ما يقوم عليه كل منهما من أعمدة لغوية وسياقية وهامشية تحيط بهالتيْهما ووسائل اتساق وتناغم تؤلف ألياف النسيج البياني صوتا وحرفاً وكلمة واسما وفعلا وعبارة وجملة وفقرة وتركيباً ونصاً وخطاباً... ولا بأس باختزال بعض الاهتمام العميق في هذا الكتاب من خلال الخطاطات التالية الكامنة في صفحاته:[3]

Schéma 1

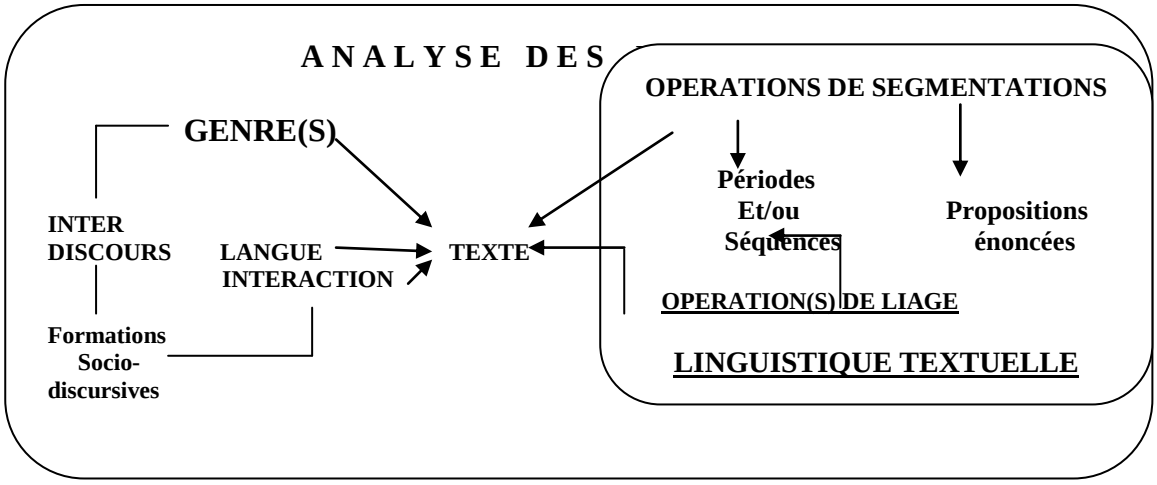

Schéma 2

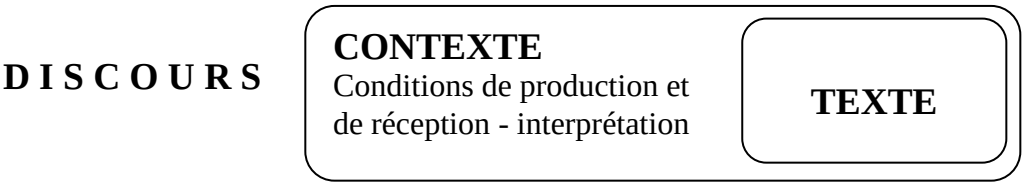

[1] −Michel Adam Jean, linguistique textuelle des genres de discours aux textes, Editions Nathan/ Her, Paris, 1989, P: 151.

[2] – ينظر: د. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية منشورات عويدات، بيروت، باريس ودار توبقال للنشر، المغرب، ط 1985– 1986، ص 269– 332 (حيث فصل الكاتب في الوسم الإعرابي وعلاقته برتب البنيات اللغوية والإسناد والتركيب والتطابق الوظيفي والإحالي والإعرابي ومبدأ الاتساق).

[3] - Michel Adam Jean, linguistique textuelle des genres de discours aux textes, p. 36, 39, 41.

Schéma 3: CHAMP DE L'ANALYSE DES DISCOURS

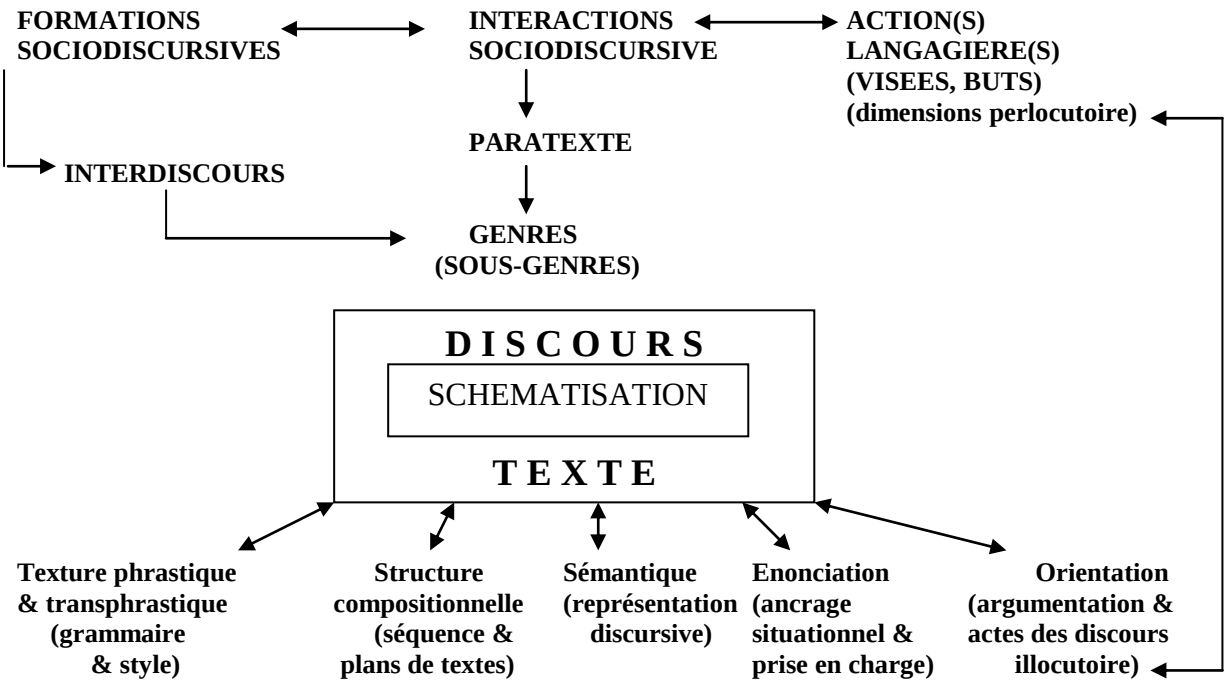

CHAMP DE LA LINGUISTIQUE TEXTUELLE

وظل كل ما يتعلق بالنظم والترتيب والانسجام والتماسك في الخُطُبِ والنصوص وألوان البيان محط اهتمام النقاد وعلماء اللسانيات الخطابية والنصية ومحللي الخطاب، لأنهم يرون في تلك الخصائص نُجْحاً في بناء الوحدة النصية والخطابية[1].

ونظم الخطاب وانسجامه كما تماسك النص ووحدته سبيل إلى إحداث الأثر المرجو من كل بيان؛ ومن أجل ذلك عُلم قديماً أن الإعراب هو الإبانة والإفصاح وتمام التوصيل، أي نجاح تداولية الكلمة والرسالة بين المصدر والاستقبال.

3- التعليمية واللسانيات التطبيقية (قراءة في جهود عربية و غربية):

قد بحث الأولون من علماء اللغة العربية مسائل التوصيل اللغوي في مباحثهم اللسانية و النحوية و التركيبية بل و أوضحوا حقيقة "التعليمية" في مصنفاتهم و حواشيهم تنظيراً و تطبيقاً ، تأصيلاً و نقداً وذلك قبل ظهور[⋆] « علم اللغة التطبيقي: أو ما يسمى باللسانيات التطبيقية، وهو حقل من حقول اللسانيات، ظهر سنة 1946م في الوقت الذي ظهر الاهتمام بمشاكل تعليم اللغات الحية للأجانب، إلى جانب ازدهار الدراسات

[1] – ينظر: دلالة السياق، د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1423هـ (السياق في التراث العربي والفكر اللغوي الغربي وغيره)، ص57.

⋆ ينظر ماجسده الجاحظ في بيانه و تبينه من خلال المباحث الصوتية و البيانية وعلاقتها بالمتلقي و المرسل ، وكذا تحليلات الصرف و الصوت في خصائص ابن جني ، و نقد النحو العربي و تركيبه في دلائل عبد القاهر الجرجاني ... وقس على ذلك

التطبيقية... وتعتبر اللسانيات التطبيقية مجالاً مرتبطاً بتدريس اللغات، حيث إن منطلقاتها هي اللسانيات العامة، ... ومن اهتماماتها تدريس اللغات والتوثيق والترجمة ومعالجة الأمراض اللغوية وتقنيات التعبير، وأهم خصائص علم اللغة التطبيقي هي: البرجماتية/ الانتقائية/ الفعالية/ دراسة التداخلات بين اللغات الأم واللغات الأجنبية...»[1].

فالعلم بهذه المعرفة اللغوية الألسنية قديم –نسبيا– وهو في تقدم سريع إن على مستوى التنظير في أعمال كبار الألسنيين العالميين ومنجزاتهم التربوية والفلسفية والنفسية وطرائق التدريس والتطبيق اللغوي والتشريح الألسني أو على مستوى تفاعل الدرس الألسني مع الآلة المعاصرة وشبكة المعلومات العالمية ومهارات الحاسوبية والدراسات العلمية للظاهرة اللغوية بتفريعاتها المختلفة...

لا غرو أن التعليمية في اللغة العربية تبدأ من إحكام تقنية التعليم وتنتهي بإحكام تقنية التطبيق على المادة المقدمة، فتستوعب تعليمية التطبيقات اللغوية كل الشروط والأدوات كما استوضحتها جهود الباحثين، وسنركز في هذا المسار على الطرائق التربوية في التطبيقات اللغوية التي حظيت بعناية المربين والباحثين والعلماء على مد العصور، كعلماء التفسير في تخريجاتهم اللغوية في البلاغة والنحو والصرف مثل الزمخشري...، وعلماء القراءات مثل الجزري، وعلماء الأصول مثل أبي حامد الغزالي، وجهود الفقهاء في المصطلح الفقهي ، وعلم الدلالة العربي عند ابن قتيبة... وغير أولئك كثير، حيث نثروا جهودهم اللغوية في ثنايا تآليفهم، وإن تعددت حقول تخصصهم واختلفت، فإنهم انطلقوا جميعا من اللغة كإجراء باشروا به أقضيتهم ومسائلهم...

وأما في العصر الحديث فقد ظل البحث عن "تعليمية التطبيق اللغوي" حساسا في ضوء الثراء الذي يتجدد باستمرار على مستوى الحياة والفكر والتسابق الحضاري والعلمي والتقني، مما وطد العلاقة بين الباحثين المحدثين وكيفية توصيل الدرس اللغوي.

يقترح الدكتور صالح بلعيد في علم وتعليم أحد الميادين التي سطرها مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية فيقول « والذي يهمنا في هذا المقام هو: علم تعليم العربية، وهذه اقتراحاتنا: تقويم تعليم اللغة العربية في الأساسي والثانوي والجامعي/ تقويم تعليم العربية في الأساسي والثانوي: طرائق التعليم تقويم مستوى اللغة العربية في تدريس العلوم الإنسانية/ استثمار النظرية الخليلية الحديثة في تعليم اللغة العربية/ تقويم تعليم اللغة العربية للكبار/ استثمار نظرية الملكة التبليغية ونظرية الإدراك في تعليم العربية/ بحوث في الوسائل السمعية البصرية لتعليم اللغة العربية وإنجاز نماذج جديدة»[2].

والغاية من تعليمية اللغة ليست تخفى على المتقدمين من علماء العرب والمسلمين فيما صنفوه من عنوانات في اللغة ونحوها وفقهها ، وعلاقة ذلك بعلوم إنسانية وعقلية وعلمية تطبيقية عديدة، حتى إنهم جددوا في أطاريحهم المنهجية، كما فعل العلامة ابن مالك في تسهيله وابن جني في خصائصه... وغيرهما كثير لا

[1] – د. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2000، ص11، 12.

[2] – د. صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، ص182– 18

يحصى؛ فباتت مباحثهم تقرب مبادئ اللغة تقريبا تربويا يحمل المتعلم على الإدراك والتحصيل من خلال توجيه المربي إلى طرائق التوصيل وربط ذلك بعلم النفس وعلم الاجتماع والبيئة والمجتمع والمكان والتاريخ...، كالذي رسخه العلامة ابن خلدون في مقدمته، إذ سبق أوغست كونت ودوركايم وغيرهما إلى تأثيل القواعد العلمية السليمة في تربية الناشئة لغويا وألسنيا وسلوكيا...

والدراسات الغربية شديدة الحرص –هي كذلك– على بحث النظريات الألسنية وتنشيط البحوث اللغوية، وبالأخص الجانب التطبيقي وربطه بالوسائل العلمية الراقية؛ كجهود دي سوسور وبنفنست وماكي وتشومسكي وجاكوبسون وفينس...«إن اللسانيات التطبيقية هي استثمار للمعطيات العلمية للنظرية اللسانية واستخدامها استخداما واعيا في حقول معرفية مختلفة، أهمها حقل تعليمية اللغات... ومن ههنا فإن استثمار النظرية اللسانية العامة في مجال تعليمية اللغات ينتج عنه بالضرورة تقاطع منهجي بين النظرية اللسانية وعلم النفس التربوي من ناحية، وطرائق التبليغ البيداغوجي من ناحية أخرى»[1].

4– لسانيات اللغة العربية بين العولمة و"العالمينية": إن الحديث عن اللسانيات يقودنا إلى الولوج في حقل علم اللغة عموما وفي مباحثة الدراسات والبحوث اللغوية القديمة و الحديثة على وجه الخصوص «والملاحظ أن الدراسات العربية اليوم قد أخذت حظا ملحوظا من ثمار اللسانيات، غير أن حظها في الجانب النظري أوفر منه في الجانب التطبيقي... ويكاد اللغويون اليوم يسلّمون بداهة بضرورة إعادة وصف اللغات عموما حتى تكشف نواميسها الخفية من جهة، وتخلص مقاييس تلقينها و بلورتها من كل سمة اعتباطية أو معيارية من جهة أخرى»[2]، و إذا كانت اللغة مجموعة أصوات أو – كما يعرفها سوسير– إنتاج اجتماعي لقوى الكلام؛ تحكمها مجموعة من الأنظمة تمكن الأفراد من ممارسة هذه القوى للتواصل داخل مجتمع ما، فإن هذه الأصوات و إن كانت تبدو « لأول وهلة مختلفة متنافرة فإن كل أصوات اللغات تصدر من الجهاز الصوتي الإنساني، و هو مشترك عند كل البشر، و لهذا فهناك أصوات كثيرة تتكرر في أكثر اللغات، وهناك وسائل محددة تتوسل بها اللغات المختلفة للتمييز بين أصواتها»[3] ، لأجل ذلك كان لزاما –وما زال قائما– على الدراسات الألسنية الحديثة البحث عن قاعدة لسانية متينة تستند عليها النظرية اللغوية، ثم إن مدارسة الظاهرة الصوتية و التعرف على مجمل ما يحيط بها من عوامل و آليات ومشكلات، والاستفادة من خبرات البحثة والمختصين في مختلف اللغات ممّا يثري تلك القاعدة ويكسبها الدقة والعلمية والشمولية والموضوعية، و لعل هذا ما تهدف إليه اللسانيات العامة من خلال « إيضاح عوامل انتشار اللغات وموتها وعوامل التجديد اللغوي ومشاكل الازدواج اللغوي وغير ذلك من المشكلات التي تتكرر في مجموعات إنسانية مختلفة »[4] ، ولما كانت

---

[1]– د.أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ص 41.

[2]– د. عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، أوت:1986، ص: 135

[3] د. عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، تونس، ط:1 /جوان، 1984 ، ص: 137

[4] نفسه، ص: 138

مناهج البحث الألسني متعددة ومتناوعة؛ كمنهج الملاحظة والمنهج الآلي والمنهج التجريبي والمنهج المقارن، فإن من العوامل الرئيسة والمهمة لنجاح أي منهج أو بحث أو تحليل أو دراسة – نظرية كانت أم تطبيقية – في حقل اللسانيات عامة ربطها بأصولها الإنسانية الثابتة الأولى وعدم اجتثاثها من طبيعتها العالمينية البحت؛ « فنحاة العرب الأوائل لم يقرروا أن العربية ترفع الفاعل وتنصب المفعول لمجرد سماعهم جملة واحدة من عربي واحد، أو أقحموا مجموعة أصوات مجردة من مظانها في جملة من التجارب الآلية و الرقمية و البيانية، بل إنهم استقرؤوا معظم الكلام العربي، فلما رأوا اطّراد هذه الظاهرة وضعوا قاعدتهم. و يتسع مجال الاستقراء اتساعا بالغا عندما تنتقل من مستوى فقه اللغة الوصفي للسان من الألسن إلى مستوى اللسانيات العامة لاستنباط قوانين الظاهرة اللغوية العامة فعند ذلك لا تكفي ملاحظة لسان واحد بل لا بد من ملاحظة كل الألسنة في العالم ما كان منها حيا لا يزال في أفواه البشر وما اندثر منها فلم نعرفه إلا في النصوص و الآثار »[1] .

من أجل ذلك، لا بد من توحيد النظرة العلمية لعلم اللسانيات وتسديد كل الجهود والبحوث والخبرات نحو العوامل المشتركة التي يقوم عليها الدرس الألسني، فمنهج الملاحظة – مثلا – هو منهج عالمي لا يمكن لأي أمة من الأمم أن تتخلى عنه في إرساء جذور لغتها و تمديد فروعها و تجديد عراها... و منذ « أن أصبح للبحث اللساني بعد عالمي إنساني كعلم قائم برأسه يمكن تطبيقه على أية لغة من لغات العالم، فقد أصبح للبحث البيولوجي علاقة وثيقة بذلك العلم.. لذلك يجب على البحوث البيولوجية أن تعيد النظر في اكتشافاتها و بحوثها العلمية بغية مناقشة البحث اللساني مناقشة بيولوجية قائمة على العلاقات الوشيجة التي تربط علم اللسان بالبحوث البيولوجية الحديثة.. ومن هنا يأتي معيار العالمية في الدراسات البيولوجية اللغوية »[2] ، كما لا ينبغي أن تكون التقنيات الآلية والتجارب العلمية اللغوية المتطورة حكرا على أمة دون أخرى؛ وإلا كيف النهوض "بنظرية لسانية عالمينية" واحدة وموحدة؟؟!!، وعلى المنادين بفرض العولمة الإذعان والخضوع – راغبين أو راغمين – لما تفرضه هذه المنظومة الجديدة من انفتاح وتحاك مع العالم أجمع دون تمييز أو إقصاء.

وعلى اختلاف ألسنة الناس وألوانهم وأعراقهم، فإن اللسانيات الاجتماعية هي واحدة من تلك العوامل المشتركة؛ فهي مجال رحب لدراسة العلاقات العامة بين اللغة والمجتمع، كما تعد فرعا من فروع علم اللسان السُّلالي وجغرافية اللغة وعلم اللهجات، من حيث إنها تعتمد المتكلم كمعطى اجتماعي له أصله السلالي و وضعيته الاجتماعية ومستواه المعيشي ورصيده الثقافي والمعرفي...[3]

من اهتمامات اللسانيات أيضا الجانب النفسي للظاهرة اللسانية ودور المنهج النفسي الذي يعنى بدراسة العاهات اللغوية و تشخيص الآفات الفردية و تصحيح المسارات الصوتية لدى المتكلم، وعلم النفس اللغوي « هو فن ظهر ضمن أفنان اللسانيات العامة و يدرس كيف تطفو مقاصد المتكلم ونواياه على سطح

---

[1] نفسه، ص: 140، – بتصرف – .

[2] نفسه، ص: 145 –146

[3]– ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ–2003م، مج1، ص6(باب البيان وغيره...).

الخطاب في شكل إشارات لسانية تتصهر في اللغة، كما يدرس سبل توصل المتقبلين لذلك الخطاب إلى تأويل تلك الإشارات »[1] ، ثم إن العقبات التي تواجهها عملية تعليمية اللغة هي سيكولوجية أكثر منها لسانية، لأن علم اللسانيات هو المادة الخام لموضوع العملية التعليمية/ التعلمية لكن « عندما يتعلق الأمر بكيفية عرض المادة و تبليغها، فإن علم اللسان لا يمكن أن يفيد إلا في نطاق محدود، و يكون لعلم النفس الدور الأساسي في توجيه جهوده ما دام التعليم لا يطمح إلى أكثر من تيسير عملية التعليم »[2] .

إذا كانت اللغة العربية رمزا من رموز هويتنا العربية الأصيلة و جذرا راسخا من جذور أصالتنا العريقة و حضارتنا التليدة، فإن اللغة بصفة عامة « لا تبنيها القرارات السياسية أو النظم الخاصة، بقدر ما تبنيها الأبحاث الجادة، و العلم الآن بحاجة إلى الحقائق، و العربية في أشد الحاجة إلى المختبرات و الأجهزة التي تزيد من تقبلها..»[3] ، و لما كانت العولمة الإعلامية و المعرفية لا يجني ثمارها إلا الأقوياء و القادرون على اكتسابها، فلا ينبغي لضعاف العالم و مقهوريه – و الأمة العربية خاصة – أن يتحلقوا حول موروثاتهم القديمة أو الدوران حول أطلال الآباء و الأجداد؛ بل لا بد لهم من انتفاضة "عالمينية" شاملة توقظ ضمائرهم وهممهم، و ترجح كفة التوازن العالمي الذي أثقلت كاهله العولمة و ما حملت، ولن يتحقق ذلك إلا بإعادة بناء المنظومة اللسانية العربية انطلاقا من تجميع و غربلة جل تلك النظريات والتنظيرات التي ملت الانتظار و الأمنيات، ثم وضعها قيد التطبيق و التحقيق بعيدا عن التلفيق و التصفيق، و لنكون صريحين مع ذواتنا وغيرنا قبل أن تلعننا الأجيال القابلة...

وإن كانت هناك ثمة جهود و أعمال فلا ينبغي الإسفاف بها أو الإجحاف في حقها لكونها لا تعدو مجرد اجتهادات متناثرة، بل من المؤكد أن هناك بحوثا نوعية و جادة هي قيد الإنجاز و التأصيل ما زالت تتعطش للإصغاء و الإجماع قصد التطبيق و التنفيذ، فلقد أقر المؤتمر الثاني للتعريب المنعقد في الجزائر عام 1973 المصطلحات الموحدة في علوم الكيمياء و الجيولوجيا و الرياضيات و النبات و الحيوان والفيزياء، كما أكّد على أن اللغة مقوم رئيس من مقومات وجود الأمة و استمرارها، و كل خطر يهدد اللغة إنما هو خطر يطال شخصية الأمة، و أن تأصيل العلوم و انتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها، و لذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة و مواكبتها و مشاركتها فيها يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس و إعداد المصطلحات العلمية الموحدة، كما نُصَّ على ذلك في هذه المؤتمرات و غيرها في المغرب و تونس و ليبيا...

إن فقه أسرار اللسانيات العربية أمر لا مفر منه إذا أردنا الولوج في معترك هذه الحياة الرقمية، والعربية هي الجامع المشترك بين أبناء هذه الأمة « و هي الخيار الذي لا بديل له حضاريا، و العالم لن يسمع

---

[1] د. عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، ص: 138

[2] د. عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، ص: 153، بتصرف

[3] د. صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط:2002 ، ص: 5 ،6

لأمة تتحدث بلسان غيرها »[1] و من ثمة أضحى لزاما على الباحث اللساني الجاد في اللغة العربية أن يبذل قصارى جهده ما أمكن لتطوير و تيسير طرائق فهم العربية و إيضاح شروط تلقينها و إتقانها، و أن لا يخلو ذلك من إشراك جميع اللغات السارية في العالم و النظر فيما يتسنى انتقاؤه من معطيات هندساتها الصوتية والصرفية و التركيبية و الدلالية و الإشارية... كما لا يحق التخلي عن لغات الحضارات البائدة، فقد نجد فيما غبر ما افتقدناه و أتلفناه من عِبر « و لأن اللغات و اللهجات تعددت و تنوعت في العالم أسره فقد أدى ذلك إلى ظاهرة الاقتراض من بعضها البعض، و إلى بروز التعددية اللغوية في المجتمع عامة ولدى الفرد خاصة، لأن هناك الكثير من الاحتكاكات بين اللغة الأم و اللغات الأخرى»[2] ، و لا بد من التحلي بروح الموضوعية و الجدة في العمل ونبذ لغة الشحناء و الخلفيات المبيّتة التي لم تفرز إلا الدمار والهلاك.. و ليس بغائب عمّن أراد الإفصاح والتصريح أحبولة اللغة الحية و اللغة الميتة.

الخاتمة:

لابد من النظر المستديم في مدى فاعلية البحوث واقعيا ودرجة تفاعلها وتكاملها وفي انسجام المقترحات والمشاريع المخططة للدرس اللغوي العربي الجزائري بشتى فروعه ؛ ولا بأس بهذه النقاط ختما لهذه الدراسة :

1- ضرورة الانتقال من توصيات المؤتمرات و نتائج البحوث و الدراسات إلى مستوى التفعيل والاعتماد الميداني و المتابعة المستمرة في شتى المدارس العربية مشرقا و مغربا.

2- أولوية الارتقاء و النهوض بالفرد العربي من حيث التكوين و التشجيع، بفتح باب الفرص في الإبداع و التجديد، و كذا توسيع نطاقات استثمار التنمية البشرية بتهيئة الأجواء و تسخير كافة الوسائل الحضارية من أجل تيسير استعمال اللغة العربية.

3- ألم يأن لمجامع اللغة العربية أن تخضع -على الأقل- لنداء الوحدة اللغوية و تجاوز المسطور إلى المنظور و المعاينة الواقعية، خاصة و الحال هاته؛ حال الاستباق الحضاري و العولمة...

4- تأكيدنا على تعزيز مثل هذا المسعى العلمي الحكيم المجسد في هذا المؤتمر و الهادف إلى تحقيق صرح الوحدة بين أبناء اللسان الواحد، موازاة مع ما يشهده العالم من تكتلات قوية تخدم شعوبها وتُنمّي طاقاتها الاقتصادية و الأمنية و الاجتماعية و الثقافية...

---

[1] د. صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، ص: 41 ،42

[2] جميلة راجا، التداخل اللغوي، (مقال)، جماعة من المؤلفين بجامعة تيزي وزو، اللغة الأم، مجلة تتناول مقالات في اللغة الأم، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط:2004 ، ص: 146

المصادر و المراجع:

- *القرآن الكريم (المصحف الشريف، برواية الإمام ورش عن الأمام نافع)*

(1) *محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1388هـ -1968م.*

(2) *الشيخ الإبراهيمي، في مؤتمر أدباء العرب، الدورة الثالثة، القاهرة 1958، عن مقال الشيخ الإبراهيمي وأصالة الأديب الحر للدكتور عبد العزيز شرف، مجلة البحوث، معهد اللغة العربية، جامعة وهران، ع 4/ 1987.*

(3) *د. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، 2000.*

(4) *د. صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط:2002.*

(5) *د. صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية، مطبوعات جامعة منثوري، قسنطينة.*

(6) *تأليف مشترك، مادة التعليمية العامة، وحدة اللغة العربية، الإرسال 1، المركز الوطني لتعميم التعليم، الجزائر، 1999.*

(7) *التيجيني محمد بن صالح ، تعليمية التطبيقات اللغوية بواسطة النصوص ، السنة السادسة أساسي ، المركز الوطني للوثائق التربوية ، الجزائر ، مارس 1999.*

(8) *الجاحظ، البيان والتبيين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ-2003م، مج1.*

(9) *أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1372هـ-1952م، ج1.*

(10) *د.تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2/1979.*

(11) *د. أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، د. م.ج. الجزائر، ط /2000.*

(12) *محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد، الشيخ علي محمد معوض، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1426هـ - 2001 م، مج 1.*

(13) *علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير الخازن، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج1.*

(14) *د.محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1: 1991م.*

(15) *العلامة عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط 1991، ج 2.*

(16) *فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي- مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة الجزائر 1986.*

(17) *جميلة راجا، التداخل اللغوي، (مقال)، جماعة من المؤلفين بجامعة تيزي وزو، اللغة الأم، مجلة تتناول مقالات في اللغة الأم، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط:2004.*

(18) *أبو بشر عمرو بن قنبر، سيبويه، الكتاب، تحقيق د.عبد السلام محمد هارون، ط3: 1403هـ- 1983م، ج1.*

(19) *محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، شركة الشهاب، الجزائر، وقصر الكتاب، البليدة، الجزائر، 1410هـ - 1990م، ج1.*

(20) *د . جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط/ 1979 ،ج 2.*

(21) *د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1423هـ (السياق في التراث العربي والفكر اللغوي الغربي وغيره).*

(22) *د. شوقي ضيف، تجديد النحو، دار المعارف، مصر 1986.*

(23) د. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية منشورات عويدات، بيروت، باريس ودار توبقال للنشر، المغرب، ط 1985- 1986.

(24) د. نبيل علي، الثقافة العربية و عصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط:2001.

(25) منذر عياشي، اللسانيات والدلالة (الكلمة)، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1: 1996م.

(26) مبادئ التعليمية التحليلية / الباحث الإنجليزي :ماكي / MACKEY . W . F.

(27) د. عبد السلام المسدي، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، أوت:1986.

(28) د. عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، تونس، ط:1 /جوان، 1984.

(29) د. مازن الوعر، دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1: 2001.

(30) عاطف محمد يونس، العربية أرقى اللغات الحية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1/ 1998.

(31) Michel Adam Jean, linguistique textuelle des genres de discours aux textes, Editions Nathan/ Her, Paris,